مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 15 / العـدد 02 / سبتمبر2021 / ص ص 104 - 113
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

اشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية_دراسة تحليلية_

The problematic of the research methodology in social sciences_Analytical Study_

طارق بروك
جامعة قسنطينة 2 (الجزائر) ، Tarekberrouk@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/27 تاريخ القبول: 2021/05/06 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:
يطرح توظيف المنهج في بحوث العلوم الاجتماعية إشكالية مرتبطة بنوعية المنهج الذي يصلح للموضوع المراد البحث فيه، وكذلك أشكال توظيف منهج واحد أم مناهج متعددة في نفس البحث، فبينما يرى باحثون ومختصون وأكاديميون أن مسألة المنهج يجب أن تحسم منذ البداية البحث بإختيار المنهج الذي يرى الباحث أنه يصلح لموضوعه وأن عليه أن يوظف منهجا واحدا فحسب سواء أكان كميا أم كيفيا أم إجرائيا، ويعزون ذلك إلى الخلط الذي يقع فيه الباحث بين المنهج الذي يعني الرؤية النظرية التي يشتغل وفقها من أجل الوصول إلى حل الأشكال المرتبط بالبحث، وبين المنهجية التي تعني الجانب الشكلي للموضوع، يرى آخرون أن بإمكان إستعمال أو توظيف مناهج متعددة في نفس البحث سواء أكانت جميعا كمية أم كيفية أم إجرائية .

ولقد تطورت المناهج الكيفية بدورها، فبرز المنهج الابستمولوجي أو منهج علم اجتماع المعرفة الذي يرتبط بنظرية المعرفة وبتاريخ العلوم و بالميتودولوجيا، لأنها تتناول مناهج العلوم وتدرس طرق اكتساب المعرفة وطبيعتها وحدودها، من زاوية فحص المعرفة العلمية فحصا علميا ونقديا يقوم على الاستقراء والاستنتاج معا .

كلمات مفتاحية: المنهج، المنهجية، الابستمولوجيا.

ABSTRACT:
Research methodology social sciences is very related to the subject to be researched. The suitability of the methodology used and the number of approaches adopted for the same research, is often problematic

Some researchers and academicians believe that the issue of the methodology must be decided from the beginning of the research by choosing the approach that the researcher thinks is fit for his/her subject and he/her must employ only one approach be it quantitative, qualitative or procedural. These researchers argue that this is necessary to avoid the confusion between the research methodology that means the theoretical vision based on which the solution of the problem will be found, and the research framework that means the research tools to be employed for such a purpose

Other researchers think that it is possible to employ multiple approaches for the same research, whether they are all quantitative, qualitative or procedural.

The qualitative research methodology has evolved over the years to many variants such as the epistemological variant (the sociology of knowledge) that is related to the theory of knowledge and the history of science. This variant deals with the scientific methodologies and studies the methods of acquiring knowledge (its nature and limits) from a purely scientific angle based on a scientific and critical examination that links induction and conclusion together.

Keywords: research methodology, research framework, epistemology.

- المؤلف المرسل: طارق بروك

ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

1- مقدمة :

الواقع أن الحديث عن إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية والإجتماعية ليس شائعاً في الكتابات العربية، لكنة له تاريخ طويل في الفكر الأوروبي حيث عاش المجتمع هذه الإشكالية منذ العصور المظلمة (عصر محاربة الكنيسة للعلم) إلى أن تمكن العلم بمناهجه وتجاربه من أن يثبت جدارته وصدقة ويتغلب بذلك على الأفكار اللاهوتية والميتافيزيقية التي جعلت من أوروبا تعيش زمناً طويلاً من الجهل والظلام، أن الإنسان بما وهبه الله من عقل وفكر قادر على التفكير بطريقة علمية مكنته من أن يصنع ويخترع ويخطط من خلال ما يستخدم من مناهج تساعده في ذلك (المنهج الكيفية المتمثلة في المنهج الهرمنوطيقي) والمنهج العلمي التجريبي، وقد ظهرت المدرسة الوضعية(العلمية) على يد أوجست كونت الذي نادى بوحدانية المنهج بمعنى دراسة الظواهر الإنسانية مثل دراسة الظواهر الطبيعية(ومن هنا ظهرت أول شرارة للحرب بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وبين المناهج الوضعية التجريبية والمناهج الكيفية) وقبل ذلك كانت الإشكالية المنهجية –عند المفكرين السابقين –حيث كان ديكارت يرى أن أسس المنهج تكون عقلية، وعلى النقيض منة يرى بيكون أن أسس المنهج يجب أن تكون تجريبية، وبعد ما طرح كونت تلميذه زادت إشكالية المناهج في العلوم الإنسانية وأصبح لدينا فريقين من العلماء والمفكرين فريق يرى أن العلوم الإنسانية يمكن دراستها بالمناهج التي تدرس بها العلوم الطبيعية (المناهج التجريبية) وفريق على النقيض من ذلك يرون أن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية غير صالحة لكي تستخدم مع الظواهر الإنسانية وذلك نظراً لإختلاف الظواهر الطبيعية عن الإنسانية-العلوم الطبيعية تدرس العالم الخارجي والعلوم الإنسانية تدرس العالم الداخلي – حيث ظهرت العديد من الإتجاهات التي نادت برفض الوضعية وتبني الإتجاهات العقلية في دراسة الظواهر الإنسانية وظهرت في كتابات العلماء (دلتاي –هوسرل –فندلباند –وريكرت) وظهرت العديد من المناهج في هذا المجال مثل المنهج الظاهراتي والهرمنوطيقي والمنهج الابستمولوجي (منهج علم اجتماع المعرفة) والمنهج النقدي الذي ظهر على يد علماء مدرسة فرانكفورت، وظهرت العديد من الانتقادات الموجهة للمدرسة الوضعية منها مايلى: أنها اختزلت العلم إلى مجرد علم للوقائع –وإنها نفت الأسئلة المتعلقة بالإنسان من قاموسها

2- اولا:مفهوم المنهج

المنهج بوزن المذهب، والمنهاج هو الطريق الواضح، وفي اللغة الإنجليزية فإن كلمة " Method "تعني النظام والترتيب و طريقة عمل شيء (Durozoi Nathan,2003,p259)، وتقابلها باللغة الفرنسية" Methode "، وهما كلمتان مأخوذتان من الأصل اليوناني، الذي يتألف من مقطعين : " Meta " بمعنى " بعد " و "hodos "بمعنى " طريق " ، وهذا يدل من الناحية الاشتقاقية على معنى السير تبعا لطريق محدد، وهي نفس الدلالة الاشتقاقية للكلمة العربية " المنهج " والتي يقصد بها الطريق الواضح المحدد (نسيمة، 2006، ص 85) ، وبهذا يتفق التعريف اللغوي مع التعريف الإصطلاحي الى حد كبير، والذي يشير إلى أن المنهج هو مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول الى الحقيقة في العلم ، أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل إكتشاف الحقيقة التي نجهلها، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين الذين لا يعرفونها (صلاح الدين ، 2003، ص 92)

وبالرجوع الى العهد اليوناني، فقد إستعمل" افلاطون" كلمة المنهج للدلالة على البحث أو النظر أو المعرفة، كما استعملها "ارسطو "بمعنى البحث (عبد الرحمان ، 1977، ص 3)، لذلك فإن المفهوم الحديث للمنهج لا يتعدى العصر الذي عاش فيه "فرانسيس بيكون" في القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلى جانب" ديكارت" الذي ساهم بدور فعال في تطوير المنهج العلمي عن طريق النقد اللاذع الذي وجهه لأساليب البحث التي سبقت العصر الذي عاش فيه خصوصا القياس الصوري (مصطفى ، 1995، ص 22)، وهذا يتلخص في تلك الإنتقادات التي وجهها ديكارت وبيكون إلى الفلسفة اليونانية على وجه التحديد، ثم تطور

مفهوم هذا المصطلح في " علم المناهج "، فأخذ معنى إصطلاحيا محددا يعني طائفة من القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة .

ويعرف "رابح تركي" المنهج بأنه يشير إلى الطريقة التي يتبعها الباحث لدراسة المشكلة موضوع البحث، وبذلك يجيب هذا المفهوم على الكلمة الإستفهامية " كيف ؟" أي كيف يدرس الباحث الموضوع الذي أمامه (نسيمة ، 2006 ، ص: 85-86)

والجدير بالذكر هنا أن الطريقة تختلف عن المنهج، فهي الكيفية الإجرائية التي يتبعها الباحث في دراسة أي عنصر من عناصر المشكلة المبحوثة دون الخروج عن المعايير العامة التي تحدد المنهج الذي تبناه الباحث في دراسة إشكاليته البحثية، فالطريقة هنا هي جزء لا يتجزأ عن المنهج وليست كل المنهج، الذي يعد أشمل وأوسع من مفهوم الطريقة، لكونه يعني مجموع الطرق المتبعة في تحقيق كل عملية من العمليات المتعددة التي يتضمنها البحث، بالإضافة إلى الأدوات والمقاييس والإختبارات والإحصاءات والأساليب والتقنيات، التي تحتاج كل واحدة منها طريقة معينة لدراسة المشكلة البحثية، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية .

فالطريقة ماهي إلا إحدى مكونات المنهج ، فهي ترتبط به إرتباطا كليا، كما يستخدم إصطلاح المنهج في الفلسفة كمقابل للوسائل التي تحقق المعرفة، بمعنى أن المنهج هو طريقة لإعادة الإنتاج الفكري والفعلي المتعلق بموضوع الدراسة (عبد الباسط ، 1985، ص 23)

وتعرفه دائرة المعارف البريطانية بأنه مصطلح عام يشير إلى مختلف العمليات التي ينهض عليها أي علم من العلوم أو يستعين بها في دراسة الظاهرة الواقعة في مجال إختصاصه، وعليه فإن المنهج طريقة للتفكير والبحث يعتمد عليها في مجال تحصيل المعرفة العلمية الصادقة والثابتة والشاملة حول ظاهرة معينة (بلقاسم ، حسان، 2009 ، ص26)

ويشير الدكتور "مصطفى عمر التير "إلى المنهج على أنه الطريق أو السبيل للبحث الذي يستند إلى عدد من المميزات الرئيسية، أهمها أن الظواهر ومكوناتها والعلاقات بينها موجودة بشكل مستقل عن الفرد وعن ارائه واتجاهاته وتصوراته، وأن هذه الظواهر تخضع لقوانين ثابتة تتحكم فيها وتوجهها بإنتظام، وأنه بالإمكان التوصل إلى معرفة خصائص هذه القواعد وأساليب تأدية وظائفها (مصطفى ، 1995 ، ص23)

2-1- المساهمات الفكرية في تأسيس المنهج العلمي

لقد كانت المنهجية العلمية واضحة عند علماء المسلمين في مجال العلوم الكونية والتطبيقية ، فلقد اعتمدوا في مختلف فروع المعرفة الانسانية على أسس علمية تحتوي على أسلوب التفكير العلمي و الدقة والاستنتاج، لأجل ذلك تميز التفكير الإسلامي بالموضوعية ، أين دعا علماء الإسلام إلى الإلتزام بالأمانة العلمية والتجرد الموضوعي والبحث عن الحقيقة، حيث يرى البيروني أنه على الباحث الإستدلال بالمعقولات وقياس الآراء بما يوافق العقل .

إذ توفر للمسلمين منذ القدم الأسلوب العلمي والمنطقي في البحث ، خاصة في مجال العلوم الطبيعية والكيمياء والطب والصيدلة والعلوم الكونية ، فيؤكد "جورج سارتون" أن "ابن سينا "يعتبر من أعظم علماء الإسلام وأشهر مشاهير العلماء العالميين، كما يعتبر "الفارابي "من الأوائل المتقدمين في تاريخ تقدم الفكر .

وتؤكد الشواهد العلمية أن "ابن الهيثم" قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جديدا، أبطل فيه علم المناظر، وانشأ علم الضوء الحديث ، وأن أثره في الضوء لا يقل عن أثر "نيوتن" في الميكانيكا (Djassoa , 2013, p 33)

ويعتبر "البيروني" من أسمى المرجعيات العقلية التي عرفها التاريخ ، وكذا الغزالي الذي يشهد له التاريخ بأنه من أعجب الشخصيات في التاريخ الإسلامي ، وتوضح دائرة المعارف الفرنسية أن كتاب " الشريف الإدريسي " في الجغرافيا يعتبر أعظم وثيقة

علمية جغرافية في القرون الوسطى، ويقول "بيكون" عن "ابن رشد" أنه فيلسوف متين متعمق صحح الكثير من أخطاء الفكر الإنساني، وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة ذات قيمة علمية منفردة عن سواها، أما "ابن البيطار" فيعتبر أعظم عالم نباتي ظهر في القرون الوسطى (بلقاسم ، حسان ، 2009 ، ص53-54)

ونضيف إلى هذه المساهمات الفكرية ، ما برهنته النظرية السياسية لابن خلدون ، في أنها دراسة اصيلة للمسائل السياسية والظواهر الطبيعية الوثيقة الصلة بالإسلام والفكر السياسي، بالإضافة إلى فكرته السياسية الأساسية التي تدعم إيمانه المطلق بنظام الحكم الإسلامي، حيث تعتبر المقدمة بحثا في النقد التاريخي وفي علم الإجتماع، أين إنصب إهتمام علماء الاجتماع العرب والغربيين على الفلسفة الاجتماعية التي وضعها "ابن خلدون" ، لذلك يعتبر "ابن خلدون" من أعظم مفكري الاسلام في العصور الوسطى، فهو الذي أسس علم الاجتماع وأرسى قواعد النقد التاريخي ، كما امتازت نظرياته السياسية بالأصالة والإبداع العلمي (محمد ، 1983 ، ص28)

وبالرجوع الى التطور التاريخي للمنهج العلمي، فقد إنبثق تطور المنهج عن الفلسفة الأم على يد "فرانسيس بيكون" و"ديكارت" ، حيث كان "بيكون" من أشد المتمردين على التقاليد الأفلاطونية والأرسطية، فحاول تقديم نموذج لخطة السير العملية، مركزا على أن النظام هو سر كل شيء، وهذا ما يجبرنا على تجميع الوقائع وإختزانها وتفسيرها بتبصر وفقا لقوانين محددة، أما "رينيه ديكارت" فقد إقتنع بأن العلم في صميمه هو الكشف عن العلاقات التي يمكن التعبير عنها تعبيرا رياضيا .

وفي هذا السياق يرى "ميلتون بارون" أن المنهج العلمي هو شيء مشترك بين كل العلوم، يتطلب وصف الوقائع التي تمت ملاحظتها في ظل ظروف مضبوطة، يمكن تكرارها بإستخدام إجراءات البحث (بلقاسم ، حسان ، 2009 ، ص28)

بمعنى أن المنهج العلمي يحتوي على مجموعة من العمليات الأساسية والتي تتمثل في الملاحظة، الوصف، الاستقراء والاستنباط .

وبإعتبار ان المنهج هو نسق من القواعد الواضحة والإجراءات التي يستند اليها الباحث في سبيل الوصول إلى نتائج علمية، فإن وظيفته لا تقتصر على تطبيق الإجراءات والقواعد المنهجية المستمدة من النظرية، وإنما هو تطبيق للنظرية وتسهيل الإتصال العلمي بين الباحثين، وبما أن الاستقصاءات أساسية للعلم، فمن الضروري ربطها ببناء منطقي منسق، لان الاداة الاساسية للمدخل العلمي القائم على استقصاء الحقائق هو المنطق (عبد الله ، 1988 ، ص 19)، كما ان المنهجية العلمية تتطلب كفاءة الاستدلال .

وإذا كان الطابع المميز الرئيسي في كل استدلال هو الدقة والتسلسل المنطقي، فان البرهنة هي إستدلال يراعى فيه التسليم بصدق المقدمات، وبالتالي يرمي الى اثبات صحة مقدمات معلومة، وبهذا فان البرهنة تخبرنا بصدق ما تصل اليه من نتائج، لأنها تقوم على التسليم بصدق المقدمات (طلعت ، 1989 ، ص11-12)

2-2- التأصيل التاريخي لإشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية

تعتبر اشكالية المنهج العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية من اهم الاشكاليات الابستمولوجية المعاصرة، والتي لها تاريخ طويل في الفكر الاوروبي مقارنة بالفكر العربي (عصر محاربة الكنيسة للتنوير)، فالمنهج العلمي هو تنظيم صحيح لسلسلة الافكار العديدة، من شانه ان يعصم الباحث _قدر الامكان _ من الوقوع في الخطأ، فهو الطريقة الاقصر للوصول الى الهدف المنشود المرتبط بالحقيقة العلمية .

كما اسهم "جيروم رافيتز "في مقاله "تاريخ العلم" في تبديد وهم الهدف المطلق للعلم والمنهج العلمي، حين بين ان فكرة " العلم " بالصورة التي وصلتنا اليوم ليست الا واحدة فقط من بين العديد من التصورات الممكنة للعلم، فإذا كان الفكر الاوروبي

قد قطع اشواطا كبيرة في تحرير العقل من الفكر اللاهوتي الكنيسي، حين رفع الفلاسفة شعار " التنوير والعقل "، فذلك مجرد تصور نوعي للعلم في مقابل تصورات اخرى ممكنة ومحتملة، فقد امنوا بقدرة العقل على فهم الطبيعة ومحاولة ادراك اسرارها باستخدام النظر والمشاهدة وإجراء التجارب بدلا من الاعتماد على القياس والاستنباط، فاخضعوا المعارف والعلوم للدراسة العقلية المسلحة بالنقد والتحليل (علاء ، 2006، ص187)

فبظهور المدرسة الوضعية مع (اوجست كونت) ظهرت بوادر الخلاف بين المناهج الوضعية التجريبية والمناهج الكيفية، فيرى (ديكارت) ان اسس المنهج يجب ان تكون عقلية اي فلسفية، بينما يرى (فرانسيس بيكون) انها يجب ان تكون تجريبية بمعنى ان تتحرر من الافكار المسبقة التي تتأسس على الرغبات والأهواء الذاتية وعلى الحدس و الحس المشترك، لان من شان المنهج العقلي الذي يتأسس على التأمل ان يتيح للباحث مدخلا للمدركات الحسية السابقة والأفكار الشائعة، كما ان التفكير الفلسفي الذي يستند الى البرهان العقلي الادراكي غير الفهمي ، يمكن ان يسقط الباحث في المعيارية اي في توخي (ما يجب ان يكون) عكس المنهج العلمي الذي يدرس الظواهر الاجتماعية من حيث (ماهو كائن).

وانقسم العلماء والفلاسفة الى فريقين، فريق يرى ان الظواهر الانسانية يجب ان تدرس بالمناهج التجريبية، بينما يرى فريق اخر ان الظواهر الانسانية تختلف عن الظواهر الطبيعية، لان الاولى متحركة وفيها تفاعل والثانية ثابتة وغير معنوية، واستعمال المناهج التجريبية في دراسة الظواهر الانسانية سيؤدي الى خلط كبير، بل السبب في رأيهم في تخلف العلوم الاجتماعية هو وحدة المنهج، فحواه ان الطرق المنهجية المستخدمة من قبل الطبيعيين هي وحدها المتصفة بالعلمية (محمد ، 1982، ص61).

وبخصوص مسالة منهج علمي واحد في بحث واحد او عدة مناهج، فقد انقسم الباحثون والأكاديميون بدورهم بين من يرى ضرورة تنويع المناهج الكمية والكيفية والإجرائية تبعا لحاجة البحث الى هذا المنهج او ذاك ويرون ان تعدد المناهج في بحث واحد تمليه ضرورة البحث، بينما يرى فريق اخر ان تعدد المناهج في نفس البحث هو مؤشر واضح على غياب المنهج، لان المنهج في نظرهم هو بمثابة خارطة طريق البحث يقود الباحث نحو الحقيقة العلمية وحل الاشكال العلمي الذي انطلق منه، بينما ينتج عن تعدد المناهج اخلال بالبراديغم الذي يوجه البحث نحو هذا المعنى، وينتج عنه خلط في المفاهيم والبراديغمات ما يفضي الى افساد البحث وعدم الاجابة على الاشكالية التي يؤطرها الموضوع بشكل علمي، او السقوط في المعيارية والابتعاد عن الاجابة عن السؤال الاشكالي للموضوع بشكل علمي .

2-3- أنواع وأشكال المناهج وأسسها الفلسفية :

لا شك أن لكل منهج خلفية نظرية وفلسفية، ولقد أدى تطور العلوم التطبيقية في الغرب الى تأثر الباحثين بالمناهج العلمية، ودعوا الى توظيفها في العلوم الإجتماعية، لهذا فقد دعى مؤسس علم الإجتماع الحديث(أوجست كونت) الى اعتماد المنهج الوضعي التجريبي في مقاربة مواضيع العلوم الإجتماعية، والإبتعاد عن المناهج الكيفية التي تستند الى الحس المشترك، واعتبرها تنتمي الى المرحلة الميتافيزيقية من تطور الإنسان، بينما اعتبر المرحلة الوضعية هي المرحلة الصحيحة، وهي مرحلة تحرر الإنسان من الأفكار المسبقة، وشاطره آخرون نفس الرأي مثل (إميل دوركايم) الذي دعى الى دراسة الظواهر الإجتماعية على أنها أشياء أي دراسة الظواهر الإنسانية مثل الظواهر الطبيعية، في حين يرى (ديكارت) أن أسس المنهج يجب أن تكون عقلية أي فلسفية، بالإستناد الى الكوجيطو الديكارتي الذي يرتكز على الشك المنهجي الذي يرتكز بدوره على المنطق الإستدلالي والبرهان العقلي والذهني والتأمل الفلسفي ومن بين مناهج البحث الفلسفي؛ المنهج التحليلي السقراطي، المنهج التركيبي، المنهج النفسي، المنهج النقدي، المنهج الجدلي، ويرى (فرانسيس بيكون) أن المنهج يجب أن يكون تجريبيا ، ولقد تطورت المناهج الكيفية بدورها، فبرز المنهج

الإبستمولوجي أو منهج علم إجتماع المعرفة، والمنهج النقدي مع مدرسة فرانكفورت (أدورنو وهوركايمر)، في حين ينتمي المنهج العلمي الذي يرتكز على الإستقراء والإستنتاج الى المدرسة الوضعية التجريبية (علاء ، 2006، ص56)

2-4- المناهج التجريبية والكمية:

أنطلق (ألسير بيتر) من نقد المنهج في محاضرة بعنوان: (الإستقراء والحدس في البحث العلمي)، ثم (رولتان) في كتابه (النظرية الإجتماعية ونقد المجتمع)، وهما من مؤسسي الفلسفة الألمانية المضادة بحيث إتفقا على نقد الفسلسفة الوضعية. يطرح المنهج في العلوم الإجتماعية إشكالا يرتبط بمسألة الموضوعية والقيم، ويطرح بهذا الصدد هذا التساؤل: هل الموضوعية موجودة في العلوم الإجتماعية، بقدر وجودها في العلوم الطبيعية والتجريبية ؟

ميز {ماكس فيبر } في كتابه (دراسات نظرية العلم)، بين الأحكام القيمية والمعرفة التجريبية والعلاقة بين العلوم الإجتماعية والطبيعية، أما (ألتاي) فقد فرق بين المنهج في العلوم الطبيعية الذي هو تفسيري بينما يفهم ويؤول في العلوم العقلية. في كتابه { قواعد المنهج في علم الإجتماع } يرى(إميل دوركايم) بأنه يجب على علم الإجتماع أن يتحرر من أفكاره السابقة بمعنى فصل الذات عن الموضوع، أو فصل الإيديولوجيا عن العلم، في حين يرى (جون غلتونغ) أن الخيار المنهجي هو خيار أيديولوجي (Raymon, 1996,p92)

نشأت خلافات بين علماء الإجتماع شخصها (رايت مليز) بأنها تتعلق بماهية أنواع التفكير، وماهية أنواع الملاحظة، وماهي أنواع الروابط بين الإثنين (التفكير والملاحظة)، حيث يرى { مليز } أن المشكلة تكمن في العلاقة بين التفكير والملاحظة أو بين المنهج الكيفي والكمي، وهذا ما يؤكد عليه عالم الإجتماع الألماني (سينغفريد لنك) في كتابه(البحث الإجتماعي الكيفي)، حيث ذكر الخلافات بين المنهج االكيفي والكمي، أي النفسير مقابل الفهم ،(السوسيولوجية الفهمية عند ماكس فيبر)، والعلاقة القانونية مقابل العلاقة التاريخية - اختيار النظريات مقابل تطورها – الإنغلاق مقابل الإنفتاح – الإستقراء مقابل الإستنباط – الموضوعية مقابل الذاتية – الجزئية مقابل الكلية – المنهج الصارم الجامد مقابل المنهج المرن (طلعت ، 1989 ، ص.27) يؤكد أنصار النظرية الوضعية على أن تطور العلوم مرتبط باعتمادها على المنهج التجريبي، ماجعل العلوم الإنسانية والإجتماعية، نظرا للمثال الذي قدمه المنهج العلمي التجريبي، تروم الإحتذاء به وتطبيقه في دراستها للظواهر الإنسانية والإجتماعية، رغبة منها في تحقيق قدر أكبرمن العلمية والدقة والموضوعية، لكن أنصار النظرية العقلية /الفلسفية، يرون أن للمنهج التجريبي عيوب كثيرة منها؛ إهمال القيم الأخلاقية والدينية وما يقدمه الوعي الجمعي من معرفة الديناميات التي تسير تلك العوامل الأخلاقية، ما أدى الى تشويه خطير في فهم السلوك الإنساني والتنظيمات الإجتماعية، إذ انتهت النظريات الوضعية في العلوم الإجتماعية الى نتائج سلبية فيما يتعلق بالأسس المنهجية التي قامت عليها، في حين تنبع الإشكاليات الميتودولوجية / المنهجية من خصوصية الموضوع وهو الظاهرة الأساسية وكذا البحث عن المنهج المناسب الذي يجب اعتماده في دراسة الظاهرة الإجتماعية. كما أن المنهج التجريبي أفقد العلوم الإجتماعية القيم الروحية والأخلاقية، لأن الظواهر الإنسانية والإجتماعية ليست في واقعها وحقيقتها مظاهر حسية ملموسة فهناك جوانب غير مادية في الإنسان بما في ذلك تفكيره وسلوكه وغاياته التي لايمكن التعرف عليها إلا عن طريق الملاحظة الداخلية أي بفهم المعاني التي تعبر عنها (محمد ، 1982 ، ص78).

3- ثانيا:المنهجية :

بدءا : لابد من التفريق بين المنهج والمنهجية لئلا يقع اللبس، إذ أن المنهج غير محور البحث . فالمنهج لغة : الطريق الواضح، وانهج الطريق: وضح واستبان (عبود ، 2002 ، ص5). وفي الإصطلاح : عرف بتعريفات عدة، تتفاوت قليلا في مدلولاتها، ولعل ذلك ناشئ من إختلاف أنظار المعرفين وإتجاهاتهم المختلفة نتيجة إختلاف متطلبات موضوعاتهم وترتيب أفكارهم، فهناك جملة من

هذه التعريفات (عبود ، 2002 ، ص25)، وخلاصتها : أن المنهج : هو الموجه العملي لقواعد تعصم –عند مراعاتها –الفكر من الخطأ، وفي مجال استبيان الحقائق ببحث علمي .

فيمكن اعتباره موجها معياريا لنشاط فكري تحكمه مجموعة من القواعد خاصة مقطوع بصحتها، تتناسب مع النموذج المعرفي المبحوث فيه .

وبما أن المصطلحات أخذت أولا اللغة ثم اختصت بأمور فصارت أخص من المعنى اللغوي، فهي تحتفظ غالبا يعتد به من الأصل اللغوي فالمنهج ترتيب موضوعات وفق أفكار معينة على طريقة واضحة للوصول إلى نتيجة متوخاة فهو (خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتتبعها للوصول إلى نتيجة) (محمد ، 1996 ، ص 22).

وبما أن المنهج هو الجانب التطبيقي لنظرية البحث عند الباحث والتي تختلف بحسب طبيعة النظرية نفسها والمجال الذي تتمثل فيه الغاية من تطبيقها، فهو –أي المنهج – الطريقة التي يتبعها المتصدي للوصول إلى غايته على وفق نظرية معينة (محمد، 1982 ، ص49)، وعلى هذا فالمنهج أخص من المنهجية .

إذا فإن فهم المنهجية في النسق المعرفي التفسيري لا يمكن أن يتحقق بدون تحديد وتحليل المناهج وإختبارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، ويبحث في كلياتها ومسلماتها وأطرها العامة، فهي أدوات للتفكير ولجمع الحقائق (محمد ، 1982، ص51) وعلى هذا فهي غير المناهج بل انها أعم من المناهج .

ولذا فإن فهم المنهجية في النسق المعرفي التفسيري لا يمكن أن يتحقق بدون تحديد وتحليل المناهج المختلفة التي انتهجها العاملون في الحقل المعرفي التفسيري، فقد تكون هناك عدة مناهج أخرى هامة تساهم في تطوير المنهجية الحديثة (محمد ، 1982، ص54).

ولذا تتطلب المنهجية أن يكون المرء عارفا بأصول المنهج العلمي العام (Raymon, 1996,p87)، وقاعد المنهج العلمي الخاص (محمد ، 1996، ص 38).، واللذين يناسبان موضوع بحثه .مع وجود القدرة لديه على هندسة بحثه وفق قوانين المنهجين ليصل إلى نتائج سليمة في بحثه (Simon, 1969,p22) ولذا يكون المنهج غالبا حكما أو وصفا لاحقا لخطوات عمل معين، وأما المنهجية فهي معايير فكرية وقوالب موضوعية توضع لتحديد آليات العمل المعرفي قبل المشروع به، كما يمكن أن تحاكم المناهج وتقايسها بنظرة شمولية .

فالمنهجية والمنهج حقيقتان متغايرتان، فالمنهج قد يلحظ سلوك مجتمع أو طائفة أو مفكر خاص، من حيث الخطوات المتبعة للوصول إلى نتيجة فقد إستعمل المنهج في دلالات من هذا النوع فمنها :

- استخدامه بالنظر للنموذج المعرفي والرؤى الكلية للإنسان، فيقال مثلا : المنهج الإسلامي .
- استخدامه بالنظر موضوع علمي مغين كما يقال المنهج الاقتصادي في الإسلام.
- استخدامه بالنظر إلى مذهب معين، كما يقال منهج المتكلمين .
- استخدامه بالنظر إلى أسلوب بحث يتخذه مفكر معين، كما يقال منهج ارسطو، أو منهج الشيخ الطوسي .

وهذه الاستخدامات ناتجة من قابلية اصطباغ المنهج بخصوصيات ما يضاف إليه من علم أو مجتمع أو فرد .

أما المنهجية فلا تتلبس بالخصوصيات، لأن وظيفتها البحث في الوسائل، والوسائل العامة تقل فيها عناصر الخصوصية، حيث أن المنهجية إذا تمازجت مع نموذج معرفي معين خرجت عن كونها منهجية عامة وإنما صارت منهجا خاصا بما امتزجت فيه واصطبغت به، فالمنهجية تُلحظ مجردة عن النموذج المعرفي إذ أنها تعم كل العمليات المعرفية التي تؤدي للوصول إلى اطمئنان النفس بحقيقة أو أمر ما، بخلاف المنهج الذي يلحظ متلبسا بنموذج معرفي معين ينسج على منواله (Simon, 1969,p28).

فالموضوعية القائمة في العلوم الطبيعية والتجريبية من الصعب تحقيقها في العلوم الإجتماعية، فالظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة إنسانية بإمتياز، وهذه تتميز بالتعقد وتنوع الأسباب المؤدية لظهورها وسرعة تغيرها وصعوبة تكميمها، إضافة الى صعوبة عزل الباحث عن المجتمع، فهو جزء من المجتمع ولابد أن يتأثر بالظواهر الموجودة فيه، ويصبح بالتالي من المتعذر تحقيق الموضوعية والتخلص من الذاتية في الدراسات الاجتماعية ولذلك تعددت النظريات الاجتماعية أكثر من سواها، حيث أصبحت خليطا من الفلسفة والايدولوجيا والقيم الأخلاقية والأهداف المعيارية وتصورات الحياة اليومية وأحكام الحس المشترك .

4- ثالثا: ماهية الابستمولوجيا

4-1- تعريف الابستمولوجيا :

إن كلمة الابستمولوجيا " epistemologie " تعني حرفيا theorie de la science (نظرية العلم)، يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية الى المعجم la rouse illustre لسنة 1906(روبير ، 2003،ص 09)، فالابستمولوجيا (epistemologie) مصطلح صيغ من كلمتين يونانيتين :

- الابستمي (episteme)، ومعناها : علم (وهو موضوع الابستمولوجيا).
- اللوغوس (logos)، ومن معانيها : علم، نقد، نظرية، دراسة، ويدل على المنهج .

فالابستمولوجيا إذا من حيث الاشتقاق اللغوي هي " علم العلوم " ويعني هذا العلم المعرفة (علي ،2010،ص 15).

ويعرفها "اندري لالاند" " Andre laland " على أنها الدراسة النقدية للمبادئ، والنتائج الخاصة بالعلوم ، تهدف لمعرفة أصولها المنطقية، قيمها وثقلها الموضوعي(محمد ،1987،ص 23)، فهي إذن " عبارة عن المبحث الذي يعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها، بهدف إرساء أساسها المنطقي، كما أنه يشهد تجديد قيمة العلوم، ودرجة موضوعيتها...(حسن، 1987 ، ص 7)

ومن التعريفات السابقة نستنتج أن الابستمولوجيا تتخذ من المعرفة العلمية موضوعا لها، بهدف الكشف عن مبادئها، ونشأتها ومقاربتها وتفسيراتها للواقع، بالخوض في تاريخها ومراحل تطورها مع الكشف عن فترات تقهقرها وأسباب هذا التقهقر بهدف الفحص الثاقب لتشكيل مفاهيم العلم وتطور دلالتها ضمن مقاربة نقدية .

5- رابعا: علاقة الابستمولوجيا بعلم المناهج

الميتودولوجيا اشتقاقا تأتي من (Methode) وهي مشتقة من (Methodos) اليونانية ومعناها الطريق إلى أو لاحقا المنهج المؤدي إلى.... ، وبعد تطور الكلمة باتت تدل على مجموعة العمليات العقلية والممارسة التي يقوم بها العالم من بدء بحثه إلى نهايته من أجل الكشف عن حقيقة أمر أو واقع ما والبرهان على الفرضيات الموضوعة للوصول اليه .

ويعتبر علم المناهج (Methodologie) جزءا من المنطق، فهو الدراسة الوصفية لمناهج البحث المعتمدة في شتى العلوم، بينما الابستمولوجيا هي دراسة نقدية تبحث فضلا عن المناهج في الأسس و النتائج (زكرياء ، 1988 ، ص 19) كما يرى" لالاند" في موسوعته الفلسفية .

ويرى " روبير بلانشيه " بأن هذه التفرقة التي قام بها" لالاند" بين الابستمولوجيا وعلم المناهج هي تفرقة تخص القرن التاسع عشر حيث كانت الميثودولوجيا جزءا من المنطق، ويضيف بأنه لا يمكن للابستمولوجيا أن تبحث في مبادئ العلوم وقيمتها وبعدها الموضوعي دون التساؤل حول قيمة وطبيعة المناهج المستخدمة (علي ، 2010، ص 21) .

وعليه يمكن الاستخلاص بأنه لا يمكن الفصل بين المفهومين فكما يرى مجموعة من العلماء ومنهم "بياجيه " أن : " التفكير الابستمولوجي يبدأ عندما تكون هناك أزمات في العلوم (علي ، 2010 ، ص 79) وهو بذلك يشدد على التكامل بين

العلمين، فالابستمولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلوم، لأن دراسة المناهج العلمية مهمة في بيان مراحل عملية الكشف العلمي التي تعتبر من المجالات الأساسية للدراسة الابستمولوجية .

إذن فالعلاقة بين الابستمولوجيا وعلم المناهج تتمثل في أن علم المناهج يقدم الدراسة الوصفية المستخدمة في تحصيل المعارف العلمية ثم تتعدى الابستمولوجيا ذلك إلى الدراسة النقدية الرامية لاستخلاص المبادئ التي ينطوي عليها التفكير العلمي(علي ، 2010 ، ص 80) .

وكخلاصة يمكن القول أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين علم المناهج ونظرية المعرفة العلمية فمن الصعب أن يدرس الابستمولوجي مبادئ وقوانين أي علم من العلوم دراسة نقدية دون أن يتساءل حول طبيعة وقيمة الوسائل التي تستخدمها هذه العلوم للوصول إلى النتائج والقوانين .

6- الخاتمة :

يكشف التباين والتنوع على المستويين الفكري والابستمولوجي للأطر المعرفية والفكرية للمناهج المستخدمة في بحوث العلوم الاجتماعية، اختلافا صارخا في موضوع التأسيس المنهجي والشرعية العلمية للنشاط البحثي، ونشأة وتطور هذه العلوم.

كما انه من المؤكد أنّ العلوم الاجتماعية مدينة ومرهونة في تطورها وازدهارها بتطور أساليب وطرق البحث التي تعالج مختلف المشكلات البحثية، لاسيما تلك المتعلقة بأسباب التطور والتنمية الاجتماعية، ممّا يجعل الباحث الاجتماعي يعيد النظر في المناهج المتبعة في تنفيذ البحث.

وقد تبدو هذه المحاولة عسيرة لأننا تعودنا على تجنب مساءلة الترسانة المنهجية التي نستخدمها في بحوثنا، فيصعب علينا التشكيك في التيارات الفلسفية والمعرفية التي أطرت تفكيرنا وحددت أطر مداركنا، هذا التعود الذي يؤدي بفعل الممارسة إلى ترسيخ أدوات البحث وطرائقه الاجتماعية كمعتقدات في المنتج المنهجي وفي أساليب التعاطي مع الإشكاليات البحثية المعاصرة، وليس تقديم معرفة علمية تعيد إنتاج مناهج للتفكير.

إن منهج البحث الاجتماعي اليوم مطالب برفع التحدي في البحث العلمي، الذي يفتح آفاقا جديدة تعالج باستجلاء مختلف الجوانب الكمية والنوعية للظاهرة بكل أبعادها الاجتماعية ومؤشراتها التفسيرية، ويصبح المنهج في البحث الاجتماعي قادرا على تقديم مفاتيح المعرفة العلمية ذات الموثوقية المشروعة التي تتجاوز الكثير من المشكلات الابستمولوجية والتبعية التاريخية والشكوك العلمية ، فمن المؤكد أننا مطالبون بابتكار مناهج تفكير جديدة (بديلة) قادرة على تناول تعقيدات الواقع المعاصر.

كما أننا في ذات الوقت لا ننكر بأن هناك بعض المسلمات والثوابت التي تحافظ على المنهج في معناه وطبيعته المعرفية والنسقية المنطقية (الاستدلالية)، الأمر الذي جعل الكثير من الباحثين يؤكدون أنّ العوائق الابستمولوجية المرتبطة بمناهج البحث الاجتماعي تفرض عليهم التعاطي مع هذا النوع من البحوث بكل دقة وحذر، كما تتطلب الاهتمام والتقصي المنهجي والمنطقي. وليس التراشق بالنماذج النظرية والتطبيقية لتلك المناهج التي اتسمت غالبيتها بفوبيا التقليد بحجة تعددها وتنوع استخداماتها.

وعلى هذا الأساس نعتقد بأن الوهن الذي قد أصاب بحوثنا اليوم يسفر عن محدودية المعرفة العلمية وانطباعيتها وتبعية نتائجها، وقصور مناهج البحث فيها رغم تطور وتغير المشكلات البحثية التي يعيشها مجتمعنا اليوم.

- قائمة المراجع:

بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني . (2009).محاضرات في المنهج والبحث العلمي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

حسن عبد الحميد. (1987)."مقدمة " كتاب روبير بلانشيه . نظرية المعرفة العلمية (الابستومولوجيا.) .ترجمة حسين عبد الحميد. مطبوعات جامعة الكويت.

روبير بلانشيه، ترجمة محمود اليعقوبي . (2003).نظرية العلم (الابستمولوجيا .) .ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

زكرياء خضر. (1989.) النظريات الإجتماعية المعاصرة.الجزء الأول. مطبوعات جامعة دمشق. مديرية الكتب الجامعية.دمشق. سوريا.

صلاح الدين شروخ. (2003.) .منهجية البحث القانوني للجامعيين . دون طبعة.دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر.

طلعت همام .(1989).سين وجيم عن مناهج البحث العلمي. ط.3 مؤسسة الرسالة بالإشتراك مع دار عمار. بيروت. لبنان.

عبد الرحمان بدوي . (1977).مناهج البحث العلمي. وكالة المطبوعات. الكويت. لبنان.

عبد الباسط عبد المعطي. (1995).البحث الإجتماعي _ محاولة نحو رؤية نقدية لمناهجه وأبعاده _ ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

عبد الله عامر الهمالي .(1988). أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته. منشورات جامعة قار يونس. بنغازي. ليبيا.

عبود عبد الله العسكري .(2002).منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. الطبعة الأولى. دمشق.سوريا.

علاء مصطفى أنور. (2006).أزمة المنهج في العلوم الإنسانية _ قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية. المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

علي حسين الجابري. (2010).فلسفة العلوم. دروس في الأسس النظرية وأفاق التطبيق. دون طبعة .دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع. سوريا.

علي حسين كركي .(2010).الابستمولوجيا في ميدان المعرفة. ط 1.شبكة المعارف. بيروت. لبنان.

مصطفى عمر التير . (1995).مقدمة في مبادئ وأسس البحث الإجتماعي. منشورات الجامعة المفتوحة. طرابلس، ليبيا.

محمد عابد الجابري. (1982).مدخل إلى فلسفة العلوم _ دراسات النصوص في الابستمولوجيا المعاصرة .الجزء الثاني. دار الطليعة. بيروت، لبنان.

محمد محمد امزيان .(1996). منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية. الطبعة الثالثة. بيت الحكمة للترجمة والنشر. وجدة. المملكة المغربية.

محمد زيان عمر. (1983).البحث العلمي _مناهجه وتقنياته .ط 4. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

محمد وقيدي . (1987).ماهي الابستومولوجيا. مكتبة المعارف. الرباط. المملكة المغربية.

نسيمة ربيعة جعفري . (2006).الدليل المنهجي للطالب في إعداد البحث العلمي . دون طبعة .ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

Gerard Durozoi , Andre Roussel Nathan .(2003) Dictionnaire de philosophie. Imprimes-en France par I.M.E

Gnansa Djassoa.(2013) Méthodologie de la recherche scientifique en psychologie (une démarche algorithmique). Presses Académiques Francophones, France

Raymon Aron. (1996) Les étapes de la pensée sociologie _ édition Gallimard. Saint Simon. (1969) . Collection suppulosphe . 1 edition . PUF. Paris.